التعليم عن بعد بين ثنائيتي التلقي والمردودية المعرفية – بحث في الإشكالات والحلول-

إبتسام زريق[1] /أستاذ مشارك / جامعة أم البواقي/ ibtissamzarik90@gmail.com

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثيّة إلى الإحاطة بمدى فعاليّة التّعليم عن بعد في تقديم محتوى معرفي يضمن المردوديّة المعرفيّة للطلّاب من جهة، وتسليط الضّوء على أهمّ المشاكل التّي تستوقف طرفي العمليّة التعليميّة التعلّميّة (الأستاذ والطالب) وكذا المادة المدرَّسة والطّريقة التّي تقتضيها طبيعتها من جهة أخرى؛ لاسيّما وأنّ هذا النّمط من التّعليم شاع في الجامعة الجزائريّة مع انتشار وباء كوفيد 19، ممّا أدّى بالوزارة الوصيّة إلى إحداث تغيّير جذري في عمليّة التّعليم، ليكون بذلك "التّعليم عن بعد" سيّاسة منتهجة تسهّل على الطلّاب تلقّي المعلومات، فضلا عن الحدّ من الانتشار السّريع للوباء. وفي ظلّ هذه المستجدّات ينبغي الوقوف عند هذا النّمط من التّعليم والبحث في مدى استجابة الطلّاب له، وعرض أهمّ المعوقات التّي تعترض عناصر العمليّة التّعليميّة التعلّميّة

الكلمات المفتاحيّة:

التّعليم عن بعد- التلقّي- المردود المعرفي- الإشكالات– الحلول.

Abstract:

This study seeks to take note the extent of the effectiveness of Distance Education in presenting knowledge content to Guarantee cognitive yieldings for learners, And highlighting the most important problems that stop the two sides of the educational process (teacher and student), As well as the subject taught and the method required by its nature; Especially since this style of education became widespread in the Algerian university with the spread of the Covid-19 epidemic, which led the will to bring about a radical change in the education process. Thus, "distance education" will be a systematic policy that facilitates students to receive information, as well as limit the rapid spread of the epidemic.

In light of these developments, it is necessary to stop at this type of education and research the extent to which students respond to it, and to present the most important obstacles that face the elements of the educational process.

Key words:

Distance Education - receiving cognitive yieldings – problems- solutions.

مقدمة:

تعدّدت أساليب التّعليم في العالم العربيّ بصفة خاصّة والعالم بصفة عامّة، بتعدّد أراء التّربويين وأهدافهم السّاميّة نحو تحقيق جودة أعلى في قطاع التّعليم، ومنح فرص أكبر للمتمدرسين الذّين سعوا جاهدين إلى إثبات ذواتهم، والكشف عن مستوياتهم العلميّة وكفاياتهم التّواصلية واللّغوية، سواء أكان التّعليم ساريّا (نظامي) أم عن بعد؛ ولبلوغ الهدف المنشود تُسنّ قوانين من شأنها ضبط عمليّة التعلّم، ومع التطوّر التّكنولوجي المعلوماتي أخذت أشكال التّعليم عن بعد تأخذ أبعادا أخرى لها علاقة وطيدة بالوسيط (الوسيلة التّكنولوجيّة)؛ وعلى الرّغم من ذلك لم يحظ المتعلّمون في الجزائر بأنماط التّعليم عن بعد إلا الفئة النّادرة منهم. وبتفشي وباء كورونا فيروس (كوفيد 19) بات من الضّروري انتهاج سبل تسهم في إنجاح العمليّة التّعليميّة التعلّميّة؛ ليكون بذلك "التّلفاز" الوسيط الذّي يتمّ عبره نقل المعارف والخبرات للمتعلّمين في مختلف مراحلهم التّعليميّة – المرحلة الابتدائيّة، والمرحلة المتوسّطة والمرحلة الثّانوية، فضلا عن تلقّينهم المحتوى الدّراسي محورا محورا، وفي مقابل المراحل السّالفة، نلفي وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي قد دعت إلى اعتماد نمط مغاير يسهّل على الطّلاب تلقّي مفردات موادّهم بالتّناوب بين التّعليم الحضوري والتّعليم عن بعد بوساطة منصّة التّعليم الإلكتروني "موودل Moodle"؛ هذه المنصّة التّي تتمتّع بإيجابيّات عديدة تسهّل عمليّة التّعلم، لها من الإشكالات ما يعيق العمليّة التّواصليّة ليس بين طرفي العمليّة التّعليميّة التعلميّة فحسب؛ بل على الأركان جميعها، إذ من المواد ما يستدعي الحضور الدّائم لاسيّما مع تسلسل المفردات وترابطها، والتنوّع في طرائق عرضها وتدريسها.

***الأهداف:** تهدف هذه الورقة البحثيّة إلى:

- ضبط أسس ومعالم سير هذا النّمط من التّعليم - منصّة التّعليم الإلكتروني "موودل Moodle" في دولة الجزائر.
- الكشف عن مدى تأثير هذا النّمط على طرائق تدريس موادّ تعليميّة بعينها دون أخرى.
- تحديد الإشكالات التّي تقف عائقا أمام المتعلّمين (الطّلاب) من جهة، والمحتوى التّعليمي (مفردات المادّة) وطرائق تدريسه من جهة أخرى، أثناء تبنّي هذا النّوع من التّعليم.
- تحديد الإشكالات التّي تواجه المعلّم (الأستاذ) أثناء تدريسه حضوريا فضلا عن تدريسه عن بعد.

***الإشكال المطروح:**

انطلاقا ممّا سبق نطرح التّساؤل الآتي: ما مدى استجابة المتعلّمين (الطلّاب) لهذا النّمط من التّعليم -خاصّة وأنّ هناك موادا تستدعي طرائقُ تدريسها الحضور الفعلي على مدار السنة-؟ ! وما المشاكل والمعوقات التّي تحدّ من إمكانية نجاح التّعليم عن بعد؟ وما البدائل التّي من شأنها أن تسهم في التّقليل من تلكم المعوقات؟.

***الدّراسات السّابقة:** تطرّق عديد الباحثين إلى التّعليم عن بعد، فكانت لهم نظرتهم الخاصة اتّجاه هذا النّمط، والتّي برزت في دراساتهم التّي نذكر منها دراستين:

- **الدّراسة الأولى: أهميّة التّعليم عن بعد في ظلّ تفشّي فيروس كورونا.**

ركّز الباحث في دراسته على انعكاسات التّعليم على ركني العمليّة التّعليميّة (معلّم /الأستاذ ومتعلّم/ الطّالب)، لتحوي بذلك دراسته مجموعة من المحاور، منها: تحديد ماهيّة التّعليم عن بعد مع ذكر الخصائص والميزات التّي ينفرد بها عن التّعليم النّظامي، فضلا عن تفصيله في الإيجابيات والسّلبيات بعد عرضه لدواعي اعتماد هذا النّوع من التّعليم وأهميّته وأنماطه في الجامعة الجزائريّة مركّزا على تقنيتي (المووودل Moodle والزووم Zoom).

- **الدراسة الثانيّة: تكنولوجيا المعلومات والاتّصال في التّعليم كأحد متطلّبات الجودة.**

تسعى الدّارسة من خلال بحثها إلى الوقوف على إصلاح المنظومة التّربويّة الجزائريّة في ظلّ التّطوّر التّكنولوجي المعلوماتي، وذلك لما له من دور في تحقيق خدمات تعليميّة وبحثيّة أفضل وبأعلى جودة ممكنة وبأقلّ تكاليف، ولهذا ركّزت الباحثة على مجموعة من المحاور، منها: المنظومة التّربويّة والإصلاح التّربوي، وتكنولوجيا الاتّصالات والمعلومات، ودواعي الإصلاح التّربوي وأهدافه، وأهميّة استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات في التّعليم، وعناصر تكنولوجيا الاتّصالات، وصعوبة توظيف تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات في التّعليم، وأهميّة معايير الجودة في المؤسّسات التّعليميّة.

وتأتي هذه الورقة البحثيّة لتؤكّد على إيجابيات منصّة المووودل (Moodle) من جهة وتقف عند سلبيّاتها من جهة أخرى، خاصّة إذا تعلّق الأمر بتعليميّة مواد علوم اللّغة العربيّة.

***تمهيد**

لعلّه من الضّرورة بمكان الإشارة إلى أهميّة التّعليم عن بعد، لاسيّما التّعليم الإلكتروني الذّي نجده قد استحوذ على العالم الغربيّ وأخذ يمتدّ إلى العالم العربيّ، مزيلا الحجب عن أهميّته في عملية الاكتساب، مبيّنا أهمّ الوسائط والبرامج المسهمة في نجاح العمليّة التّعليّميّة التعلميّة، وكذا المنصّات الإلكترونيّة التّي نجد لها صدى بارزا في عمليّات التعلّم،

ومن أهم المنصّات التّي انتشر استخدامها في عمليّة التّعليم والتّعلم، خاصّة مع انتشار وباء كورونا (كوفيد 19)، منصّة التّعليم الإلكتروني موودل (Moodle)، التّي ستكون محل الدّراسة والتّنقيب.

1. في ماهيّة التّعليم عن بعد:

1.1. مفهوم التّعليم عن بعد:

يعرفّه صالح بلعيد بقوله: " نمط من أنماط التّعليم المستمرّ، ويعتمد التربيّة العمليّة مبدأ من مبادئ العمليّة التّي تؤدّي إلى تمكين الدّارسين من تمنية شخصيّاتهم من جميع جوانبها مدى الحياة ومن مواصلة اكتساب المعرفة واستثمارها في الحياة عن طريق الانتماء إلى النّظام المؤسّسي الذّي يعتمد عمليّات وفق نظام من مدخلات ومخرجات لتحقيق معرفة ما." (بلعيد، 2012م، ص 121) أو " هو نوع من النّظام المؤسّسي الذّي لا يعتمد هذه الهياكل، لكنّه يخضع لمنهج ومحتوى وطريقة خاصّة تؤدّى به العمليّة التّعليميّة. وفي الغالب موجّه إلى كبار السّن الذّين لم يتمكّنوا من الالتحاق بالنّظام المؤسّسي، أو الذّين فشلوا في حياتهم التّعليميّة وهم صغار فأرادوا أن يستدركوا بعد ذلك. وهكذا يعدّ هذا النّوع من التعليم من الظّواهر التّي عرفتها الحضارة العصريّة، وله أنماطه الخاصّة مثل عدم تطلّبه الحضور الشّخصي للمعلّم والمتعلّم في القاعة، ويقتصر حضور أحدهما أو معا لأداء بعض المهمّات فقط." (بلعيد، 2012 م، ص121). يتّضح من خلال هذين التّعريفين أنّ التّعليم عن بعد نمط من أنماط التعلّم يضمن الاستمراريّة في اكتساب المعارف وتنميّتها، خاضع لمعايير شأنه في ذلك شأن التّعليم النّظامي، ومن هذه المعايير؛ الطّريقة، والمنهج، والمحتوى، ولا يفرض تواجد ركني العمليّة التّعليميّة (معلّم، ومتعلّم). وهكذا، فإنّ هذا النّمط قد أقرّته الوزارة وأدرجته لمنح فرص أكبر للمتمدرسين الذّين لم يحالفهم الحظّ في التّعليم النّظامي ولكبار السّن الذّين لم يتمكّنوا من تحقيق أهدافهم التّعليميّة لظروف أو لأخرى. كذلك يصطلح على هذا النّمط من التّعليم بـ "التّعليم عن بعد"، والذّي تتعدّد أشكاله بين الدّروس بالمراسلة، أو ما يسمّى بـ "الجامعة المتفتّحة للكبار" السّاعيّة إلى تحقيق التّواصل العلمي؛ لتمكين المتمدرسين المحرومين من الالتحاق بها. وكذا دروس الانتساب، أو الدّروس بالمراسلة التّي تقدمّها الجامعات المسائيّة أو العماليّة في بعض الدّول. (بلعيد، 2012م، ص 121) والملاحظ على هذا النمط أنّه قد ظهر مع الثّورة التّكنولوجية التّي أخذت تزداد بازدياد الحاجة إليها؛ إذ اعتمد في البداية على "تكنولوجيا البثّ التّلفازي" و"تكنولوجيا المعلومات" والتّي ترتكز بشكل رئيس على الكمبيوتر، ومع التطوّر التّكنولوجي، أضحت تكنولوجيا

المعلومات تســتند إلى الشّــبكات العالميّة والشّــبكة العنكبوتيّة في نقل التّعليم والمعلومات. (بلعيد، 2012 م، ص 122) على نطاق أوسع.

2.1. وسائل التّعليم عن بعد:

1.2.1 في مفهوم الوسائل التّعليميّة:

"إنّها قنوات الاتّصال التّي يمكن عن طريقها نقل الرّسالة (المادّة التعليّمية بجوانبها الثّلاث (معرفي، مهاري، وجداني)، من المرسل (المعلّم) إلى المستقبل (المتعلّم) بأقل جهد وأقل وقت ممكن."(حمادنة وعبيدات، 2012 م، ص 189) ولذا فهي مرحلة أساسة وخطوة رئيسة متضمّنة في سيّاق إجراءات التّدريس؛ وهكذا، فهي ليست مجرد افتعال أو وترفيه؛ بل إجراء يسهم في تحقيق الأهداف المرجوّة. (حمادنة وعبيدات، 2012 م، ص190) كما يمكن تعريفها بأنّها:"كلّ ما يقدّم أو يسهم في تقديم مادة تعليميّة ضروريّة لعمليّة التعلّم كما تصفها وتحدّدها الأهداف التعليميّة، وتستخدم كجزء أساسي لتسيير إجراءات التدريس. أي كلّ ما يوظّف من إجراءات لتحقيق الأهداف التّعليميّة". (حمادنة وعبيدات، 2012 م، ص190) وبناء عليه يتعيّن أنّ الوسائل التّعليميّة لا تعدو أن تكون إلّا حلقة وصل تربط المتعلّم بالرّسالة التّي يودّ المعلّم نقلها في أيّ نشاط من الأنشطة التعليميّة، بغية تحقيق أهداف بعينها بأقل جهد ووقت ممكنين؛ فهذه الأهداف قد تكون معرفيّة، أو مهاريّة، أو وجدانيّة.

واللّافت للانتباه أنّ التّعليم عن بعد يأخذ أشكالا متعدّدة من بينها: التعلّم الإلكتروني الذّي شاع وانتشر في أغلب دول العالم، وأخذ يكتسح السّاحة العربيّة مع انتشار وباء كورونا أو كوفيد 19.

2.2.1. أشكال التّعليم عن بعد:

- **التعليم الإلكتروني:** "يشير هذا المصطلح إلى استخدام كافة الأوعيّة الإلكترونيّة المتاحة من (شبكة المعلومات الدوليّة، الأقمار الصناعيّة والإذاعة، والأفلام، والأقراص المدمجة، ومؤتمرات الفيديو...إلخ.) في العملية التعليميّة." (صبري، 2009م، ص 308) والملاحظ أنّ التعليم الإلكتروني قد استحوذ على فكر التربويّين الذّين انقسموا إلى فريقين؛ فريق يراه نمطا متّبعا لتقديم المناهج أو المعلومات، وآخر يراه طريقة للتعلّم؛ فأمّا الأول حصره في كونه وسيلة يتوسلها المختصون لتقديم المناهج الدراسيّة عبر الشبكة، وبالتحديد "شبكة المعلومات الدوليّة"، أو أي وسيط إلكتروني آخر، مثل: الأقراص المدمجة أو الأقمار الصناعيّة...إلخ. وأمّا الآخر فعدّه طريق من طرائق التّعليم، توظّف فيه وسائط تكنولوجيّة متطوّرة، مثل: الوسائط المتعدّدة، والهيبرميديا، والأقمار الصناعيّة، وشبكة المعلومات

الدوليّة، وهذا لضمان التّفاعل بين قطبي العمليّة التعليميّة التعلميّة التّي تتمّ من خلال هذه الوسائط من أجل تحقيق أهداف تعليميّة بعينها. (عطية، (دت)، ص03). وفي العموم تقوم العمليّة التعليميّة على الوسائط الخمس الأكثر أهميّة، التّي يمكن إجمالها في ما يلي:

-التّواصل الإنساني وجها لوجه

-النّصوص بما في ذلك الرّسوم الثّابتة

-الوسائط السّمعيّة:

-الوسائط المرئيّة:

-الوسائط المتعددّة الرّقميّة (متضمّنة النّصوص والوسائط السّمعيّة والمرئيّة).

(بيتس، 2007، ص106).

*مراحل التّخطيط لإدخال التعلّم الإلكتروني في مؤسّسة تعليميّة: يقوم التّعليم عن بعد على أساسيات عدّة لابدّ من توافرها لنجاحه لخّصها الباحثون في:

- تعيين فريق عمل للقيّام بعمليّة التّخطيط ويشمل الخبراء في التعلّم الإلكتروني، تكنولوجيا التّعليم، تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات، تصميم المقرّرات وإنتاجها، المناهج وطرق التدريس، علم النّفس التّعليمي، التّقويم التعليمي، بعض المعلّمين المتميّزين وأولياء الأمور.
- تحديد الفئة المستهدفة من التّعليم الإلكتروني.
- تحديد الاحتياجات الحاليّة والمستقبليّة للفئة المستهدفة وللمؤسّسة التعليميّة.
- تحديد أهداف التعلّم الإلكتروني بناءً على تقدير الاحتياجات.
- اختيار صيغة أو نموذج التعلّم الإلكتروني المناسب للتطبيق في المؤسّسة التّعليميّة.
- تحديد تقنيات التعلّم الإلكتروني المناسبة: (الحاسوب وبرمجياته المخزّنة على وسائط التّخزين: الأقراص المدمجةCD ، أسطوانات الفيديوDVD ، القرص الصلب HARD DISK، أو الشبكات NETWORKS محليّةALN ، أنترنتINTERNET ، شبكة عنكبوتيّةWEB .
- وضع خطة لتأسيس البنية التحتيّة للتّعلم الإلكتروني.
- وضع خطة لتصميم وبناء البرمجيات والمقرّرات الإلكترونيّة.
- تحديد سبل الدّعم والميزانيّة (سواء ميزانيّة معتمدة من قبل الوزارة أو اشتراك رجال أعمال ومؤسّسات ووزارات لتمويل مشروع التعلّم الإلكتروني).

- تحديد الوزارات والمؤسّسات والشّراكات المحليّة والدوليّة التّي تلعب دورا في تطبيق التّعليم الإلكتروني وأوجه المشاركة: مثل وزارة الاتّصالات، شركات إنتاج البرمجيات والمقرّرات الإلكترونيّة.
- تحديد العنصر البشري المشارك في منظومة التعلّم الإلكتروني وأدوارهم، وتوصيف البرامج التدريبيّة لرفع كفاياتهم المهنيّة.
- تحديد المتطلّبات السّابقة الواجب توافرها لدى المتعلمين للانضمام إلى منظومة التعلّم الإلكتروني (مهارات استخدام الحاسوب والشبكات، مستوى مهارات اللّغة الإنجليزية... إلخ)
- التّخطيط لبعض البرامج الثّقافيّة لنشر ثقافة التعلّم الإلكتروني.
- تحديد معايير الجودة الشّاملة لكلّ مكوّنات التعلّم الإلكتروني.

(عطية، (دط)، ص12، 13)

انطلاقا ممّا سيق حول خطوات التّأسيس لتعليم إلكتروني في أيّة مؤسّسة تعليميّة، نتساءل: **<u>هل تنطبق هذه المراحل على التعليم عن بعد في الجزائر؟ وإلى أيّ مدى يمكن القول: إنّ منصّات التّعليم الإلكتروني تماشى مع متطلّبات التّعليم في الجزائر؟</u>**

2. وسائل التّعليم عن بعد في ظل جائحة كورونا (كوفيد 19).

1.2. منصّة موودل (Moodle):

*Moodle= ويقصد به بيئة تعلم افتراضي أو نظام إدارة التعلّم؛ وهي اختصار لـ: (Modular Object-oriented Dynamic Learning Environment.). (خيمي، 2018، ص46) وتقابلها في اللّغة العربيّة " بيئة نموذجيّة ديناميكيّة غرضيّة التّوجيه." (حمودة وهادي، 2019، ص85). وهو: "برنامج Open Source Soft Ware يوزّع رخصة GNU العامّة ويعني ذلك بأنّه يحقّ لكلٍّ أن يقوم بتحميله وتركيبه، وهو متوفر على http//moodle. Org ." (سالم، (دت)، ص 100). وينتمي بدوره إلى نظم إدارة التعلّم LMS وهو اختصار لـ: Management Learning System؛ ويعني: جل الأنظمة التّي من شأنها ضبط وتنظيم وتنفيذ عمليّة التعلّم الإلكتروني وإدارته بشكل منتظم. وقد ظهرت هذه النّظم كنتيجة للثّورة التّكنولوجيّة المسهمة في اكتساب الخبرات والمعارف والمهارات. (سالم، (دت)، ص 99.) ومن هنا نطرح التّساؤلين

الآتيين: ما مدى نسبة الاستيعاب التّي تحقّقها هذه المنصّة؟ وهل يمكن بموجبها قيّاس المردوديّة المعرفيّة لدى المتعلّمين (الطلّاب)؟.

3. إشكالات التّعليم عن بعد في ظلّ جائحة كورونا (وباء كوفيد 19).

الحديث عن الإشكالات التّي تعترض عمليّة التّعليم عن بعد في ظلّ جائحة كورونا، -وبالتّحديد في الجزائر-، يمكن الوقوف عندها من خلال الإجابة عن التّساؤلات السّابقة المبثوثة في ثنايا هذه الورقة البحثيّة، التّي سنعرض من خلالها إشكالات تعليم موّاد علوم اللّغة والأدب العربيّ

1.3. إشكالات تعليم موّاد علوم اللّغة والأدب العربيّ:

1.1.3 التّقويم والتّعزيز:

تحتاج كلّ عمليّة تعليميّة تعلّميّة إلى التّقويم المصحوب بالتّعزيز؛ فالتّقويم هو: "عمليّة تعزيز لعمليّة أداء الأفراد والجماعات؛ فهو ينمّي لديهم الدّوافع لمزيد من العمل والإنتاج، فتعزيز السّلوك الإيجابي يدعمه ويثبّته، ويؤدّي في نفس الوقت إلى السّلوك الخاطئ؛ ولذلك لابدّ من عرض نتائج التّقويم على من يقع عليهم التّقويم سواء كانوا تلاميذ أو مدرّسين أو مديرين أو مصمّمي مناهج، فالتّلميذ يحتاج إلى معرفة مدى تقدمّه في تحقيق الأهداف المنشودة ومدى تعلّمه، والمدرّس يحتاج إلى معرفة مدى نجاحه في مساعدة التّلاميذ على تحقيق أهدافهم، ومدى توفيقه في اختيار الطّرق والأساليب المناسبة، ومدير المدرسة يحتاج إلى معرفة مدى نجاحه في إدارة المدرسة...إلخ." (القاسم والحاوري، 2016م، ص 86) والأمر ها هنا متعلّق بتقويم المتعلّمين (الطلّاب)؛ فلا يكون التّقويم ختاميا –بالضّرورة- في شكل امتحانات نهائيّة، وإنّما يكون عبر مراحل العمليّة التعلّمية مصحوبا بالتّعزيز الذّي ينبغي أن يشغل المواد جميعها، ومثال ذلك: علم النّحو، وعلم العروض، وتقنيّات البحث، وفلسفة اللّغة، واللّسانيات، واللّسانيات التّطبيقيّة، ولسانيّات النّص، وتحليل الخطاب...؛ إذ إنّ هذه المواد وما شبهها بحاجة ماسّة إلى عمليّة التّعزيز الذّي يساعد المتعلّم/ الطّالب على التوجّه الوجهة الصّحيحة لإتمام فهم ما تبقى من قوانين وأسس علم بعينه، وتحقيق الهدف المرجوّ من تعليميّة تلك المادّة، فضلا عن ذلك تغدو العلاقة بين المتعلّم / الطّالب والمحتوى (مضمون المادّة)، أي نسبة الارتباط بينهما جدّ ضئيلة في أغلب الأحوال، ما يجعل من التّعزيز يكاد يكون منعدما أو ينعدم أحيانا أخرى، والأمر نفسه بين الأستاذ والطّالب.

2.1.3. التعلّم التعاوني:

يقول طوني بيتس متحدّثا عن فوائد التّعليم عن بعد: "من أهمّ فوائد التعلّم عبر الأنترنت أنّه يتيح الفرصة أمام طلبة تفصل بينهم الأماكن والأزمان ليعملوا معا في مهمّة مشتركة. وتعلّم الطّلبة كيف يتعاونون معا من خلال الأنترنت مهارة على جانب كبير من الأهمّية في مكان العمل، ناهيك عن كونه يفتح الفرص أمام الطّلبة ليشاركوا بعضهم بعضا فيما لديهم من خبرات، وليتعلّموا كيف يتعاونون وليختبروا أفكارهم ويطوّروها وذلك كلّه دون أن يتواجدوا معا. وهذا الأمر عظيم القيمة في المقرّرات التّي ينتسب إليها طلبة من بلدان وثقافات مختلفة، وكذلك من أجل مواصلة تطوّرهم التخصّصي، لاسيّما حين يكون لدى المشاركين خبرات تخصصّية يمكن أن ينقلهم الواحد منهم للآخر أو يستفيد أحدهم من خبرات الآخرين." (بيتس، 2007م، ص 285، 286) واستنادا إلى هذه الفوائد، نحاول الوقوف عند الإشكالات التّي تقف أمام طلّاب قسم اللّغة والأدب العربي؛ خاصة وأنّ أغلبهم يعاني من نقص في الإمكانات الماديّة، ففي ظلّ التّباين المعرفي بالتّكنولوجيا، والفروق الماديّة التّي يشهدها الطلّاب الذّين ينتمون إلى التخصّص الواحد، تغيب فكرة التّعليم التّعاوني لدى الطلّاب داخل المنصّة، ممّا يجعل أغلبهم يفرّون إلى مواقع التّواصل الاجتماعي لسدّ بعض من الفجوة بين التّعلم والمردوديّة المعرفيّة، وهو حلّ لا يفي بالغرض في كلّ الحالات؛ بل وقد يكون عائقا في تحقيق التعلّم التعّاوني بدلا من كونه حلّا مناسبا يهوّن على الطلّاب عمليّة تبادل المعارف والمعلومات. فضلا عن ذلك تشهد عمليّة تعليم بعض مواد علوم اللّغة والأدب العربي نوعا من الدّقة في العرض وطريقة التّدريس؛ الأمر الذّي يجعل من تدريسها ومحاولة تحقيق العمل التّعاوني عن بعد أمرا يصعب تحقيقه للغاية، مثل: علم العروض، ومنهجيّة البحث العلمي (تقنيّات البحث) بالنسبّة للسّنة أولى جذع مشترك، الأسلوبيّة وتحليل الخطاب، واللّسانيات التّطبيقيّة، وفلسفة اللّغة بالنّسبة للسنّة الثّانية ليسانس، أصول النّحو، ولسانيّات النّص، وعلم التّراكيب بالنّسبة للسّنة الثّالثة ليسانس، ناهيك عن التّعليميّة، والقراءات القرآنيّة، وتحليل الخطاب بالنّسبة لمرحلة الماستر.

3.1.3. طريقة تلقي المقاييس:

ربّما حديثنا الآنف الذّكر عن المواد التّي قد لا يتحقّق فيها العمل التّعاوني إلى الحديث عن غياب بناء البرمجيّات التّي تسهم ولو قليلا في تسهيل عمليّة تلقي المواد التّي يعصب تلقّيها عن بعد من قبل الطلّاب؛ وذلك نتيجة للطّريقة المتّبعة في تدريسها والتي تفرض نمطا معيّنا في عرضها، كون "الطّريقة هي الآليّة التّي تختارها عضو هيئة تدريس لتوصيل المحتوى وتحقيق الأهداف" (مشروع تأسيس الجودة والتأهل للاعتماد المؤسسي، 1435 هـ، ص17) وينحصر الهدف

منها في: "تنفيذ التّدريس بجميع عناصره داخل غرفة الصّف."(مشروع تأسيس الجودة والتأهل للاعتماد المؤسسي، 1435 هـ، ص17). وهذا يحيلنا إلى المواد التّي تحتاج في تحقيق الأهداف المسطّرة إلى تدريسها حضوريا ودون انقطاع؛ إذ لا تتحقّق الفاعليّة من تدريسها بمعزل عن التّعزيز.

وكما سبق وأسلفنا الحديث عن المواد التّي لا تقوم بمعزل عن التّعزيز؛ الذّي يعدّ دعامة العمليّة التّعليميّة، لا تفوتنا الإشارة إلى أنّ هذه المواد ذاتها لها طرائق متعدّدة لعرضها، وفي الآن نفسه من شأنها أن ترفع من المردوديّة المعرفيّة للطّالب أو تحدّ منها، وهذا ما سنشير إليه في العنصر الموالي الذّي يجمع بين الطّريقة والمردوديّة.

4.1.3 المردوديّة المعرفيّة:

البحث في المردوديّة المعرفيّة للطّلاب أمر لابدّ منه؛ فمن خلاله تتمّ معرفة مدى تمكّن المتعلّمين من اكتساب المعارف، ونسب تحصيلهم المعرفي، فقد ارتبط مصطلح المردود "إجرائيا بالتّحصيل الدّراسي أو الأكاديمي (Scoole achievement)، وهو بلوغ مستوى معيّن من الكفاءة، أو الأداء في الدّراسة، وهو عبارة عن نتائج اختبارات مقنّنة وغير مقنّنة." (يحياوي، 2020م، ص675). ولا يبلغ الطّالب المستوى المرغوب فيه من المردوديّة المعرفيّة لمادّة بعينها إلا بتوفّر المناخ الذّي يسمح له بذلك؛ لاسيّما مع التّباين الذّي تشهده بعض المواد في طرائق تدريسها، إذ من المواد ما تفرض على الطّالب دمج ما تعلمه سابقا (نقطة الانطلاق) مع ما يجب أن يتعلّمه لاحقا هذا من جهة، وبعضها الآخر يتمّ اكتساب المعارف وبلوغ المستوى المطلوب فيها بوساطة الطّريقة التّي توجب تواجد طرفي العمليّة التّواصلية (الأستاذ والطّالب)، لتسهّل بذلك عمليّة التّحصيل المعرفي؛ وهنا تتبيّن أنّ: هذه المرحلة لا ينتقل إليها المتعلّم/ الطّالب إلا بعد اندماجه في الفكرة العامّة للموضوع؛ وبدورها مرحلة تحدٍ للمتعلّم/ الطّالب، الذّي يجد نفسه بين واجبين أوّلهما المعارف المكتسبة؛ أي ما تعلّمه، وثانيهما المعارف التّي سيكتسبها؛ بمعنى ما يجب أن يتعلّمه. وحتى ينتقل إلى هذه المرحلة يتوجّب عليه: الانخراط في حوار حول الموضوع الهدف سواء أكان ذلك مع عضو هيئة التدريس أم مع بقية أقرانه في الدّفعة. وتسمّى هذه الطّريقة في التعلّم بـ: التعلّم من خلال الحوار. (مشروع تأسيس الجودة والتأهل للاعتماد المؤسسي والبرامجي، 1435 هـ، ص 21). ويمكننا أن نستدل ببعض النماذج عن المواد التّي يتلقاها الطّالب في قسم اللّغة والأدب العربي، وبدورها تحتاج إلى تكثيف في التّدريس حضوريا بعيدا عن منصّة موودل، نذكر مادة واحدة على سبيل التّمثيل لا الحصر:

- **لسانيات النّص**: هذه المادّة الذّي يمكن تحديدها بكونها العلم الذّي يدرس النّص والخطاب بوصفهما أعلى وحدة كلاميّة قابلة للتّحليل، حيث يقوم التّحليل على دراسة شاملة للمعنى الذّي تحتويه الوحدة الكلاميّة؛ أي البنية اللّغوية، فضلا عن المنحى التّواصلي الإبلاغي المستهدف من طرف منتج النّص.

استنادا إلى الجانبين المهمّين اللّذين تهتمّ بهما لسانيّات النّص، نطرح الانشغال الآتي:

<u>هل يمكن لهذه المّادة المتسّعة المعالم، والمتباينة في المفاهيم أن تدرّس عبر المنصة – موودل- وتحقّق الغاية المتوخّاة من تدريسها لاسيّما إذا تعلقّ الأمر بالتّطبيق أو الأعمال الموجّهة؟</u>

لعلّه -وحسب تجربتنا في تدريس المادة على مستوى الحصص التطبيقيّة، أو المحاضرات- من الضّروري التطرّق إلى الطرائق التّي ينبغي الدّمج بينها من أجل إنجاح الفعل التّعليمي من جهة (التعلم التّعاوني والتقويم والتعزيز)، وتحقيق المردوديّة المعرفيّة من جهة أخرى، ومن أهم هذه الطرائق التّي تتضافر من أجل تحقيق الغايات المنشودة من المادة، والتّي قد تغيب عن المنصّة لأسباب أو لأخرى، الطريقة الحوارية، والطريقة الاستقرائية الاستنباطية، اللّتان تجعلان من الممارسة النصيّة أمرا ممكنا؛ إذ لا يتمّ ذلك إلا في بيئة تتوفّر فيها الثّلاثية الآتية: أستاذ، طالب، والمحتوى، الذّي يسهّل على عنصري العمليّة التّواصليّة تحقيق فعل التّعزيز والحصول على مردودية معرفيّة أعلى، وهذا ما قد ينعدم حصوله إذا ما تمّ الاستناد بشكل كلّي على منصّة موودل؛ ذلك أنّ طبيعة تحليل النّصوص والكشف عن نصيّتها يفرض الحضور الفعلي للطّرفين، مع تتبّع للآليات للوصول إلى الهدف المنشود وهو التّأويل والكشف عن مواطن الاتّساق والانسجام. وهكذا، يتحقّق التّواصل التّربوي الذّي يأخذ من الاتّصال أشكالا متعدّدة، قد يكون التّركيز فيها إمّا على المرسل أو على القناة أو المرسل إليه، أو على العلاقات المتبادلة في إطار شبكة عامّة، وهذه العلاقات تمثّل مجموع العلاقات الاجتماعيّة القائمة بين قطبي العمليّة التّعليميّة (معلم ومتعلم)، وكل ذلك من أجل تحقيق أهداف تربويّة معرفيّة ووجدانيّة، وليتمّ ذلك لابدّ من وجود الطّرفين المعلّم والمتعلّم، إضافة إلى توفّر العناصر التّاليّة: وسائل التّواصل، السيّاق الذّي يتّم فيه التّواصل، الهدف من التّواصل، التّفاعل داخل غرفة الدّرس، وجود الأفعال وردود الأفعال (أسئلة وأجوبة، وصف ...). (بلعيد، 2012 م، ص48) فإذا ما توفّرت هذه الأمور تمكّن الطّالب – لو جزئيّا- من معرفة كيفيّة فكّ شفرات النّص والولوج إلى عالمه.

2. الأسباب:

إنّه لمن الضّرورة بمكان الإشارة إلى أسباب التّي تعيق تطبيق نظام (موودل) في تعليميّة مواد علوم اللّغة العربيّة، ومنها:

1.2. أسباب عامة:

1.1.2. الإمكانات الماديّة: عدم توفّر الوسائل التّكنولوجيّة المتطوّرة، وكذا عدم تمكّن المعلّمين والمتعلّمين على حدّ السّواء من التحكّم في الحواسيب، إضافة إلى غياب التّأطير الفعلي الذّي يسهم في بيان كيفيّة توظيف البرمجيّات التّي أضحت عاملا مهمّا في التّعليم بصفة خاصّة والحياة بصفة عامّة.

2.1.2. الزّمن التعليمي: عدم وجود توافق بين مفردات المادّة وساعات التّدريس وفق نظام الدّفعات والتّدريس عن بعد؛ فمن المواد ما تحتاج لسنة أو أكثر من أجل الإلمام بأهمّ قضاياها تنظيرا وتطبيقا. مع غياب تكليف يضبط التحاق الطّلبة عن بعد ويقيّمه.

2.2. أسباب متعلقة بطرفي العمليّة التّعليميّة (معلّم/ متعلّم):

1.2.2 أسباب علميّة تقنيّة

- انعدام الرغبة الذّاتيّة في التعلّم عن بعد؛ إذ المتعلّم وجد نفسه فجأة محاصرا بنظام التّعليم عن بعد دون سابق إنذار، وما يعزّز انعدام الرّغبة فيه عدم تمكّن أغلب الطلّاب من استخدامهم للتّكنولوجيا وتقنيّاتها، لاسيّما مع غياب الدّعم المادي لأغلب المؤسسات الجامعيّة، مثل: الحواسيب في الأقسام والكليّات، فضلا عن ضعف تدفق الأنترنت في أغلب الأحوال.
- غياب الآليات التّي تفرضها طرائق تعليم بعض المواد التّي تحتاج إلى دعائم تسهل تعليميّتها عن بعد.

2.2.2 أسباب ماديّة:

- القدرة الشرائيّة؛ إذ يعاني أغلب الطّلاب من عدم تمكّنهم من اقتناء حواسيب أو هواتف ذكيّة تمكّنهم من تلقي معلوماتهم ومعارفهم في المواد المتعددّة.
- القدرة الاستهلاكيّة؛ في ظلّ غياب الدّخل المادي أو انعدامه، يعتمد أغلب الطلّاب على استهلاك قيمة دنيا للأنترنت، التّي لا تفي بغرض الولوج إلى المنصّة والتّواصل مع أساتيذهم.

3. الحلول والمقترحات:

- إجبار الطلّاب على تعلّم الإعلام الآلي وبرمجيّاته، لتسهيل عمليّة التعلّم عن بعد.
- توفير الدّعم المادي (من حواسيب وهواتف ذكيّة) مع تحسين جودة تدفّق الأنترنت.

- مجانيّة استهلاك الانترنت لكلّ طالب غير أجير
- عمل برنامج خاص يسهل عمليّة التّواصل بين الأساتذة وطلّابهم عن بعد.
- استثمار خبرات التقنيّين مع الاستعانة بالتّربويين من أجل ابتكار طرائق تسهّل تلقي المواد التي كثيرا ما تحتاج إلى حضور فعلي.
- تنميّة الحسّ العلمي لدى الطّلاب من خلال بثّ روح البحث فيهم وعدم الالتزام بما يُقدّم عبر المنصّة، أو داخل الفصل لسويعات محدودة.

الخاتمة:

استنادا لما سبق ذكره يتبيّن أن التّعليم عن بعد سلاح ذو حدّين؛ إذ إنّه يمكّن الطّالب من تلقي المعلومة بسهولة، وفي الآن نفسه يحدّ منها، كون هناك من المواد ما يدرّس بطريقة مخصوصة تستدعي عمليّة التّعزيز بين الفينة والأخرى هذا من جهة، وغياب المعرفة التّكنولوجية والتّقنيات الحديثة يعيق الطّالب كثيرا عن تلقي المادّة، لاسيّما مع الظّروف الصّعبة التّي يعيشها أغلب الطّلاب من عدم امتلاك للحواسيب والتّمكن من البرمجيات ...إلخ.

قائمة المصادر والمراجع:

المراجع العربيّة

1. رضا محمد عطيّة وآخرون، التعليم الإلكتروني، إشراف نبيل السيّد، كليّة التربية النوعيّة.
2. سامي خيمي: مقدمة في التّعليم الإلكتروني، (سوريا: الجامعة الافتراضيّة السورية، 2018م.)
3. صالح بلعيد، دروس في اللّسانيات التطبيقية، (الجزائر: دار هومة للنشر والتوزيع، 2012م).
4. ماهر إسماعيل صبري، من الوسائل التعليمية إلى تكنولوجيا التعليم، (مصر: سلسلة الكتاب الجامعي العربي ، 1430 هـ/2009 م).
5. محمد سرحان علي القاسم ومحمد عبد الله الحاوري، مقدمة في علم المناهج التربوية، (الجمهورية اليمنية: دار الكتب، 1437 هـ/2016 م).
6. محمد محمود ساري حمادنة وخالد حسين محمد عبيدات، مفاهيم التدريس في العصر الحديث – طرائق... أساليب... استراتيجيات، (الأردن: عالم الكتب الحديث، 2012 م)
7. مشروع تأسيس الجودة والتأهل للاعتماد المؤسسي والبرامجي: استراتيجيات التعلم والتعليم والتقويم، (كتيّب رقم 3، 1434هـ/1435 هـ)

المراجع المترجمة:

1. أ. و (طوني) بيتس، التّكنولوجيا والتّعليم الإلكتروني والتّعليم عن بعد، ترجمة وليد شحادة، مراجعة عبد المطلب يوسف جابر، (المملكة المتحدة السعودية: شركة العبيكان للأبحاث والتطوير، 1428 هـ/ 2007 م).

المجلات والدّوريات:

1.سالم نصيرة، منصات وأنظمة التعليم الإلكتروني، دفاتر مخبر المسألة التربوية في ظل التحديات الراهنة، الجلفة، الجزائر.

2.أبو عبيدة محمد حمودة و م. إيناس جاسم هادي، أثر استخدام منصة التعليم الإلكتروني MOODLE على مستوى طلاب قسم المعلومات والمكتبات -دراسة تجريبيّة -، مجلّة آداب المستنصريّة، العدد 87 ، أيلول 2019م.

3.يحياوي فضيلة، المناخ المدرسي وعلاقته بالمردود الدراسي للمتعلم في المؤسسات التربويّة، مجلة الباحث في العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، المجلد 12 (3)، 2020م